تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

بين بلزاك ودستويفسكى :

فى مقالكم القيم الذى ظهر فى العدد (٨٨٩) من الرسالة ، تحدثتم عن أثر القصاص الفرنسى بلزاك فى صقل الموهبة القصصية عند الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل ، وذلك عن طريق القراءة والدراسة والاحتذاء .. ولقد وردت فى ثنايا المقال فقرة من الفقرات قلتم فيها بعد شىء من العرض والتمهيد : « وجاء اليوم الذى كان يحلم به الزوج ويحلم به ، وخرجت إلى حيز الوجود « ذهب مع الريح » .. أول نفحة من نفحات الكاتب الفرنسى العظيم ، أستاذ مرجريت الذى درست فن القصة على يديه ، وأستاذ الأساتذة فى فنه بلا جدال » !

قلتم هذا عن بلزاك ، وهو قول يعبر عن رأيكم فى الكاتب الفرنسى وخلاصته أنه أعظم كتاب القصة بلا استثناء .. فما هو موقفكم من هذا الرأى الآخر الذى طلع به علينا الأستاذ العقاد فى عدد أغسطس من « الهلال » ، حيث قال فى معرض الحديث عن القصاص الروسى دستويفسكى : « ذلك هو دستويفسكى العظيم ، دستويفسكى الخالد ، دستويفسكى الذى لا يعلو على منزلته فى القصة ولن يعلو عليها فيما أظن كاتب من كتابها البرزين » ؟!

ترى هل اطلعتم على هذا المقال الذى كتبه الأستاذ العقاد ؟ وإذا كنتم قد اطلعتم عليه فكيف نوفق نحن القراء بين نظرتين ، تدفع إحداهما ببلزاك إلى مقدمة الصفوف بينما تقصيه الأخرى عن مكانه لتحل محله دستويفسكى ؟ .. نحن فى انتظار رأيكم على صفحات الرسالة .

« دمشق سورية » عمر ناصر الطيبى

حقيقة نحب أن يعلمها الأديب السورى الفاضل ويعلمها غيره من القراء ، وهى أن اختلاف الآراء حول قيم العباقرة من أهل الفن أمر لا غرابة فيه .. وكيف لا تختلف الآراء وهناك تلك الحقيقة

نحن كنا فى ظلال الحب ، للحب نغنى
نحن كنا نقطف الأحـ ـلام من روض التمنى
ثم غاب الروض والاحـ ـلام .. لما غبت عنى !
يا حياتى خبرينى أى شىء كان منى ؟

***

كالورود الذابلات هكذا صارت حياتى
هكذا ضيعت عمرى فى الأمانى الضائعات !
لم أزل مذ غبت عنى هائما فى ذكرياتى !
ذاهل الاحساس حتى لم أعد أعرف ذاتى

***

إن دعانى الليل طارت نحوه روحى الحزينة
واستقرت فى يديه وهى حيرى مستكينة
ومضت تشكو إليه وهى بالشكوى ضنينة
غير أن الليل يقرى كل روح بالسكينة

***

لم أعد أخشى من المو ت ، فقد مت مرارا !!

رب يوم كنت أفنى فيه شوقا وانتظارا
شارد الاحساس ، حيـ ران الأمانى ، مستطارا
وتوارى اليوم لم أشـ ـعر به لما توارى

***

كنت أخشى الموت لما كنت أحيا مطمئنا
كان لى فى الحب قلب بهواه يتغنى
ثم صار القلب يبكى حبه مذ غبت عنا
يا حياتى لست أدرى لحياتى أى معنى !

***

أنا لن أنساك مهما طال بالذكرى عذابى
كيف أنسى نور أيامى ، وأحلام شبابى ؟
فارحمينى حين أبكى فأنا أبكى لما بى !
واعذرينى حين يأتيـ ـك على الهجر عتابى
واذكرينى ، فسانا نلتقى بعد الغياب

ابراهيم محمد نجا

الأخرى التي تدور حول اختلاف الأذواق ، وتنتهي إلى أن الذوق هو دعامة كل نظرة وسند كل لمحة وأساس كل ميزان ؟ لا عجب إذن من أن ينظر الأستاذ العقاد إلى دستويفسكي نظرتنا إلى بلزاك ، وأن يتنازع القصاصان الخالدان مكان الصدارة في عالم النقد مما خلفاه للانسانية من تراث عظيم !

الأستاذ العقاد معجب كل الاعجاب بدستويفسكي لا يكاد يفضل عليه قصاصاً سواه ، وهو لا يقف وحده في مجال الإعجاب بسيد كتاب القصة الروسية وإنما يقف إلى جانبه الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد . وكاتب هذه السطور مقدر كل التقدير لبلزاك لا يكاد يعدل به أحداً في مزاياه ، وهو لا ينفرد بهذا التقدير لسيد كتاب القصة الفرنسية وإنما يشاركه فيه الكاتب الروسي العظيم فيدور دستويفسكي .. وإذا شهد دستويفسكي لبلزاك فهي الشهادة التي يعتز بها النقد ويجعلها من مقاييسه في أبرز مكان !!

هذه حقيقة لا يجادل فيها كل مطلع على تاريخ دستويفسكي وكل دارس لحياته الفنية ... لقد قرأ الكاتب الروسي كثيراً من آثار بلزاك قبل أن يتناول قلمه ليخرج للناس أول قصة ، وكان إعجابه به هو إعجاب المعترف بالفضل حين يتمثل في القول المأثور أو الرأي المكتوب .. وأبلغ الدلالة على هذا الإعجاب هو إقباله في مطلع الشباب على إحدى روائع بلزاك يقرؤها في نهم ويدرسها بعناية ، ثم يأخذ في نقلها إلى لغته كنموذج رفيع لأدب القصة ، وتمنى بها رواية « أوجيني جرانديه » التي نشر ترجمتها في إحدى الصحف الأدبية الروسية !

حدث هذا على الرغم من تلك العصبية الإقليمية التي اشتهر بها دستويفسكي ووعى في سبيلها من مؤرخي الأدب بأقسى النعوت والأوصاف .. كان يفضل الشعب الروسي على غيره من الشعوب: فثقافته في رأيه هي خير الثقافات ؛ وحضارته في نظره هي أرقى الحضارات ، وقس إلى ذلك أغلب آرائه وأحكامه حين تدعو المناسبة إلى وضع الأدباء الروسيين في الميزان ... هو مفتون بشعر « هيجو » الفرنسي يردده بينه وبين نفسه وبينه وبين الأصدقاء ، ولكنه ينتصب واقفاً على قدميه ليدافع عن شعر « بوشكين » الروسي كلما هم لسان بالمقارنة بين الشاعرين ، ثم لا يعود إلى مكانه إلا وقد خفض من قدر الأول ورفع من شأن الأخير ! وهكذا كان حاله في كل موقف يتطرق الحديث فيه إلى المفاضلة بين أدباء وطنه وأدباء غيره من الأوطان ، إلا بلزاك .. فقد كان رأيه فيه فوق كل شك وفوق كل اتهام ، حتى لتتوارى العصبية الاقليمية ولا تبقى غير كلمة الحق يجهر بها في إعجاب منقطع النظير . وحسبنا من دستويفسكي تقديراً لبلزاك تلك الحملة التي شنها على الناقد الروسي « بلنسكي » لتفضيله إحدى قصص « تولستوي » على « أوجيني جرانديه !! »

ولقد قلنا ونحن نستعرض جوانب الملكة القاصة عند بلزاك ونشير إلى مزاياه : « لقد كان بلزاك دارس نفسيات من الطراز الأول ، حتى لتستحيل النفس الإنسانية تحت لمسات ريشته إلى غرفة مفتحة النوافذ والأبواب . وكان رآهم شخصيات لا نظير له ، حتى لتطالعك النماذج البشرية في ساحة عرضه الفني كما تطالعك في ساحة العرض الكبرى وتمشي بها الحياة ... وكان يسخر الحوادث والشخوص لإبراز فكرته العامة التي ينسج خيوطها العرض والحوار ، فإذا هذه الفكرة منشورة الجناحين على حدود القصة تمتد ظلالها من البداية إلى النهاية ... وكان في التزامه لعنصر الواقعية الفنية مثلاً أعلى للمراقبة الحسية والنفسية ، حين تعملان في خط اتجاه فكري واحد ينتظم كل ماعداه من خطوط » .

ويقول الأستاذ العقاد عن دستويفسكي في مقاله الذي نشر في الهلال : « فالمواقف الغرامية من أهم المشوقات في القصة على العموم ، ولكنك لا ترى رواية لدستويفسكي تحفل فيها الغراميات في المحل الأول ، ولعلها لا ترتقي في معظم رواياته إلى المرتبة الثانية من مراتب العناية ، فهي فضول يأتي في السياق اضطراراً ويوشك أن يسقط من الحساب لولا أن إسقاطه دفعة واحدة مجافاة للواقع في العلاقات بين الناس ... ومن نواحي التشويق التي لا يكترث لها دستويفسكي تضخيم الحوادث والإكثار من المزعجات أو الطوارق التي تهول العدد الأكبر من قراء القصص . فربما دارت القصة كلها على حادثة واحدة من الحوادث

اليومية ، وهي تشتمل على مئات من الصفحات ... وقلما يتحدث هذا الكاتب الموهوب عن « الشخصيات » العظيمة التي تعود الناس أن يستطلعوا أنباءها ولو كانت من توافه الأنباء ، فمعظم شخصياته من صغار القوم الذين يمدون في المجتمعات بالألوف والملايين ، ولكنه يجعلهم على الرغم من ذلك « مهمين » جداً كأنهم ذوو قرابة يشغلون بال القارىء لقرابتهم لا لأنهم ذوو خطر أو لأن حوادثهم ذات بال .

هذه هي النواحي التي لا يكترث لها دستويفسكي في رواياته ، فليس هو كاتب غراميات ولا كاتب جرائم ولا كاتب بطولات ومظاهر تروع الناس بالمناصب والألقاب ... وعلى الرغم من هذا كله يكتب ويشوق ويبلغ الغاية في التشويق والإبداع ، فلولا قدرة خارقة في ذلك القلم لما استطاع أن يرتفع إلى القمة العليا بين كتاب الرواية في جميع العصور ! ماهي هذه القدرة الخارقة ؟ هي القدرة على الغوص في السريرة الإنسانية ، ففي بضع صفحات ينتقل بالقارىء من الشاطىء إلى أعمق الأغوار الإنسانية فإذا هو غارق معه في بحر لجي لا يحفل فيه بالأرض والسماء ، ولا يسأل أهو في ربيع أو شتاء ، أوفي صباح أو مساء ، لأن « معممان » هذه الغوص التي يغوص فيها يشغله عن الدنيا وما فيها ويبلغ من طغيانه على خيال القارىء أن يتوهم أنه عائش في قلب الرواية ، فهي عنده الدنيا الحقيقية والدنيا التي تحيط بها هي الخيال » !

هذه كلمات تصدق على فن دستويفسكي كل الصدق وتنطبق عليه كل الانطباق ، اللهم إلا في موضع واحد تختلف بشأنه مع الأستاذ العقاد ، وهو قوله بأن دستويفسكي لم يكن كاتب جرائم. الحق أن أحداً من القصاصين لم يتناول الجريمة في قصصه بالتحليل العميق كما تناولها هذا الكاتب الفنان: هناك في روايته « الساذج » عامة ، وفي روايته « الشياطين » خاصة ، وفي روايته « الجريمة والعقاب » على الأخص .. ولقد كان تحليله للجريمة في هذه الروايات الثلاث منصباً على الناحية النفسية والخلقية والاجتماعية !

وكل ما ذكره الأستاذ العقاد بعد ذلك عن قدرة دستويفسكي على الغوص في السريرة الإنسانية كما وهبه كبرى من مواهبه حقيقة ناصعة يندرج تحتها فن الكاتب الفرنسي فيها في هذه الموهبة متساويان. ولكن بلزاك يتفوق على صاحبه حين تجتمع له تلك العناصر المشوقة التي لم يكن دستويفسكي يكترث لها على التحقيق. وتبقى ناحية أخرى في فن الكاتبين من شأنها أن تثير بحثاً منفصلا في أدب القصة ، ومحورها أن دستويفسكي كان أكثر فهما للحياة من بلزاك وأن بلزاك كان أعمق تذوقاً للحياة من دستويفسكي .. وسنتحدث في عدد مقبل من الرسالة عن شتى الفوارق الفنية بين طبيعة « الفهم » وطبيعة « التذوق » تحت هذا العنوان : « القصة بين فهم الحياة وتذوق الحياة » !

هول رأي قريم في أمر الكتاب:

قرأت لكم في تعقيبات العدد (٨٨٩) من الرسالة كلمة تحت عنوان « الانتاج الأدبي بين الأصل والترجمة » تقولون فيها ما نصه : « أما عن وجود التفاوت بين الأصل والترجمة في الروح فهذا أمر لا جدال فيه » .. وتقولون في نهاية الكلمة : « ومهما بلغ المترجم من الأجادة والصدق والأمانة فإن روح النص في غير لغته لا يمكن أن تسمو إلى المستوى الحقيق لهذه الروح في لغتها الأصلية التي يتذوقها المتذوقون » !

قرأت ذلك فقمت مسرعاً يدفعني شعور خفي إلى البحث في أعداد الرسالة السابقة وسرعان ما وجدت ما كنت أبتغيه . ففي العدد (٨١٧) كلمة في تعقيباتكم بعنوان « كاتب لا يعرف قدر نفسه » رددتم بها على الأستاذ سلامة موسى الذي كتب في العدد (١٨٨) من المسامرات كلمة جاء فيها : « وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان ، الأول « آلام فرتر » الذي (ألفه) وترجمه الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثاني « فاوست » الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلي لقصتي الشاعر الألماني ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما في الألمانية أو الفرنسية أو الانجليزية » .. وقد هاجمتموه هجوماً عنيفاً مراً ... وكلمتكم الأخيرة تدل المرء على اتفاقكما في الرأي... فهل يا ترى غير الأستاذ الناقد رأيه ؟ .

وإذا كان ، فهل تنظر إنصاف الأستاذ سـلامة من قلم كقلم المعداوى ؟ .. الأمل كبير .. وتقبل سلاما من المعجب .

رجاء عبد المؤمن النقاش

« طالب توجيهى »

لو دقق الأديب الفاضل فيما رمينا إليه من معنى فى هاتين الفقرتين اللتين نقلهما من كلمة سابقة ، ولو دقق مرة أخرى فيما رمى إليه الأستاذ سلامة موسى لأدرك أننا غير متفقين معه فى الرأى كما يقول .. فكلمة (ألفه) التى ينسبها سلامة موسى إلى ترجمة الأستاذ الزيات لقصة « ألام فرتر » ، هذه الكلمة ترمي إلى تجريد الترجمة الزيانية من الصدق والأمانة وهما لازمتان من لوازمها الحقيقية ... وكلمته الأخرى التى يقول فيها : « إنهـا لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصة الشاعر الألمانى » ترمى هى أيضاً إلى نفى كل أصالة فنية عن حقيقة تلك الترجمة ، وهى صفة أولى من صفاتها الجوهرية !

هذا السخف الذى لا يستند إلى شرعة واحدة من العدل والإنصاف ، هو الذى دفعنا إلى كتابة تلك الكلمة فى الرد على باطل الأستاذ سلامة موسى فى مجلة المسامرات ... ومع ذلك فان قولنا : « ومهما بلغ المترجم من الإجادة والصدق والأمانة فإن روح النص فى غير لغته لا يمكن أن تسمو إلى المستوى الحقيق لهذه الروح فى لغتها التى يتذوقها المتذوقون » ، هـذا القول لا يؤدى مطلقاً إلى ما يؤدى إليه قول الأستاذ سلامه موسى : « وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصة الشاعر الألمانى » .. ذلك لأن هـذا التعبير « لا يمكن أن تسمو » معناه فى لغة الألفاظ الدقيقة أن ترجمة المترجم الصادق الأمين وإن احتفظت بروح النص فى غير لغته فهى لا يمكن أن تحتفظ بجوهر تلك الروح فى صورته الكاملة ، ومثله فى ذلك مثل المصور البـارع الذى ينقل إليك لوحة « الجيوكندا » لدافنشى .. ليس من شك فى أنه يستطيع أن ينقل إليك اللوحة نقلا أمينا بما تزخر به من الملامح والألوان والظلال ، ولكن الصورة التقليدية لا يمكن أن توحى إلى الشعور المتذوق « بكل » ما فى اللوحة الطبيعية من نبض وحياة ! وإذن فترجمـة الزيات العربية تستوى وأى ترجمة أخرى سواء أكانت انجليزية أم فرنسية ، ولا مبرر هناك لأن يضر الأستاذ سلامى موسى على الرجوع إلى هاتين الترجمتين !

هذا هو المعنى الدقيق الذى دارنا حوله وقصدنا إليـه ، وهو يفترق كل الافتراق عن المعنى الآخر الذى دار حوله الأستاذ سلامة موسى ، حين خطر له أن يجرد ترجمة الأستاذ الزيات وصاحبه من « كل » احتفاظ بروح النص فى لغته الألمانية !

ترى هل ينتظر الأديب الفاضل بعد هذه الكلمة للأستاذ سلامة موسى شيئاً من الأنصاف ؟ إن رأينا اليوم فى هذا الكاتب هو رأينا بالأمس ، وإنه لرأى قديم دفعتنا المناسبة وحـدها إلى إعلانه ، وكم لنا فى بعض الناس من أراء لا يتقصها لتظهر غير عدد من المناسبات !

رجاء إلى القراء :

هناك قراء لا يزالون يبعثون إلينا ببعض الأسئلة التى تتعلق بأمور شخصية ؛ فهذا طالب حصل على التوجيهية يسألنا عن أى الكليات أكثر ضمانا للمستقبل وتوجيهها إلى الحياة ، وهذا طالب آخر يسألنا النصح والمشورة ؛ هل يتزوج الآن أم يرجىء هذا الأمر ليتفرغ لدراسته الجامعية ، وهذا طالب ثالث يكتب إلينا راغباً فى « إعطائه » بعض الدروس فى الأدب العربى ، وهذا قارىء رابع أضناه الحب وعذبه الأرق فهو محتاج إلى « فتوى » غرامية تهيىء له أن يظفر بمن يحب ، وهذا قارىء خامس يرغب فى « وساطتنا » لدى وزير المعارف لينقل أحد أقربائه من المدرسين إلى القاهرة لأن الوزير الأديب فى رأيه ان يرد طلباً للكاتب الأديب .. إلى آخر هذه النماذج العجيبة من الرسائل الطريفة !

إن ردنا على هذا النوع من القراء هو أننا نعتذر إليهم من الإجابة على أمثال هذه الأمور ، لأنها تخرج عن دائرة اختصاصنا فى هذا المكان من الرسالة ، وإن رجاءنا إليهم هو أن يقصروا أسئلتهم على الشئون الأدبية والفنية !

أنور المعداوى